الشعر الجامد ولا النقد التقليدي . انهـا مرحلة التجربة الى اقصى الحـدود في زمان الانهيارات والولادات العظيمة .

و — حين يطرح رجاء النقاش رأيه في قومية شعر درويش ، وفي أن هـذا الشعـر ليس شعـرا بروليتاريا فانه يستشهد برأي للشاعر الفلسطيني توفيق زياد « الذي يطلب من درويش التأكيد على المحتوى وعلى تعميـق العناصر البروليتارية في شعره » ليخلص الى ان شعر درويش يدور في فلك آخر « فلك التمسك بالارض والانتماء العربي» ومحمود درويش « اقـرب في نظـر الكاتب الى القوميين منه الى الشيوعيين » والحقيقة اننا لم نكن نريد الاشارة الى هذه القضية لولا المنطلق الايديولوجي الذي تستند اليه ولولا انها تعبر عن الشكل الذي تحـاول فيه الايديولوجيـة العربية السائدة امتصاص الاعمال الابداعية وتحويلها الى هامش راكد .

فنحن لا يهمنا كثيرا اذا كان درويش عضـوا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي او لم يكن. الذي يهمنا هو الموقع الذي نظر منه الى الصراع . والواقع ان الشعراء في الارض المحتلـة كانوا في اندفاعهم نحو تأكيـد الانتماء القومـي للشعب الفلسطيني يؤكدون على النواحي القومية ويبدون تعاطفا واضحا مع الانظمـة العربية التي كانت تخوض المعارك ضد الاستعمار. ولان شعرهم كان خطابيا وتحريضيا في سمته الغالبة فانهم لم يرفعوا راية النقد للواقع العربي كما انهم لم يستطيعوا ولنفس السبب ان يبلـوروا من خـلال افقهم الاشتراكي الثوري تجربة تشكيلية جديدة وهذا ما سمح للانظمة العربية ولمنظريها بمحاولة استيعاب اشعارهم . لكن الافق الذي يظهر بعد مذبحة ايلول هو افق مختلف . فالمرحلة الرومانسية في الحركة الثورية الفلسطينية تعمدت بالدم وتصلبت اظافرها الادبية فاذا بها تتمايز عن الواقع العربي الراكد وتشارك في عملية الهدم والنقد كما يظهر من قصائد درويش الاخيرة .

ان الايديولوجيا السائدة تملك الكثـير من خطوط الدفاع . وهي تلتف حول التحرك الثوري محاولة استيعابه وتجييره لخدمتهـا . وهذا بالضبـط هو ما يجـري للشعر الفلسطينـي القادم مـن اسرائيـل . اما محاولـة رجاء النقاش اقامـة التعارض بين الانتماء الماركسي والانتماء القومـي فان الف باء الماركسية يدلنا على عكس تصور الناقد عدا ان هذا ليس مجال بحثنا الان .

ز — ان الشعر العربي ، شأنه شأن جميع مظاهر حياتنا الفكريةالعربية يمر فيأزمة النمو والصيرورة. فاذا لم يستطع الوعي الثوري العربي ان ينغرس عميقا في حركة الجماهير الواقعية ويقود هـذه الحركة فعبثا نبحث عن فن ثوري . واذا كانـت المغامرة اللغوية والتشكيلية في قصائد ادونيـس ودرويش والبياتي وغيرهم لم تستطع ان تصبـح جزءا من حركة واقعية شاملة ، فانها سوف تختنق في ركام طبول الخمول الذي يجرنا الى الموت في عربات الفكر التقليدي الجامد والممارسةالسياسية الرجعية المسيطرة . واذا كان الشعر الفلسطيني قد شكل علامة مضيئة في حركتنا الشعرية المعاصرة فلانه بالضبط استطاع ان يبلور العديد من منجزات الحركة الشعرية المعاصرة حول الارض من مواقع الجماهير المناضلة . من هنا يصبح دور النقـد شديد الخطر وتصبح مسؤوليتـه اعظم . انهـا مسؤولية الوعي للاخطار التي تواجه والقدرة على الالتحام بالواقع وتجاوزه في سبيل ان تشق المسيرة الثورية لنفسها طريقا .

الياس خوري